

الشعر السياسي ابن هانئ الأندلسي أمودجا"

كان للشيعة منذ تكونهم دور مهم في بناء الفكر السياسي الإسلامي ، اذ حاولوا جادين الالتزام بوصية رسول الله ﷺ بتولية علي بن أبي طالب عليه السلام خليفة له ونائباً بعد وفاته ، لما لعلي عليه السلام من مكانة قد رسخها الرسول الأعظم وآت أكلها يوم بيعة الغدير 0 ولما لم تجر الأمور كما قد قدر لها ، كان من الطبيعي أن يبقى الشيعة سائرين ، ضمن ثوابت اخطها تفكر مسؤول فبويج ابو بكر بالخلافة ، فكان لعلي عليه السلام وأصحابه موقف لكنّ الضرورة أملت عليهم فسايروا الأمر⁽¹⁾ وقال في ذلك الشأن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب ، من البسيط⁽²⁾ :

ما كنت أحسب أن الامر منتقل
أليس أول من صلي لقبلتهم
وأخر الناس عهدا بالنبي ومن
ماذا الذي ردكم عنه فعلمه
عن هاشم ثم عن أبي حسن
واعلم الناس بالآيات والسُنن
جبريل عون له في الغسل والكفن
ها أن بيعتكم من أول الفتن

وعلى النحو الذي أصبح فيه أبو بكر خليفة ، كذلك جاء عمر بن الخطاب ، خليفة ، وعثمان بن عفان الذي أطاحت به فتنة ، انشق على أساسها المسلمون ، فتمرد معاوية يحارب علياً ، وخرج أصحاب الجمل للطلب بدم الخليفة المقتول ، وعلى وفق ذلك ما جت الدولة العربية الإسلامية بحروب وفتن ، انتهت ملابساتها بمقتل علي

(1) ينظر فجر الإسلام ، احمد أمين ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ط2 ، 1935 ، 0 311/ 1

(2) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1998 : 0 21/6

﴿عليه السلام﴾⁽³⁾ ، وكان من بعده الحسن ﴿عليه السلام﴾ الذي سلم الخلافة لمعاوية بناءً على موثيق وعهود لدراء الفتنة عن المسلمين على ان تعود الخلافة إليهم ثانية⁽⁴⁾ ، ثم انتهى الأمر بقتل الحسين بن علي ﴿عليه السلام﴾ ابشع قتلة⁽⁵⁾ ، مما أثار حفيظة بعض الشيعة الذين خذلوه في حربه مع يزيد ، فشكل هذا الحزب حركة ترمد صدامي ، محاولاً الأخذ بثار الحسين ﴿عليه السلام﴾ فاحتمد الصراع مع السلطة الأموية التي حاولت كبح جماح أية حركة تحاول الخروج عليها ، وحسب خروج زيد بن علي بن الحسين ﴿عليهما السلام﴾ دليلاً على ذلك⁽⁶⁾

وتنتهي الدولة الأموية في المشرق ، ويتلون المشهد السياسي بصبغة الانتصار لآل محمد⁽⁷⁾ ﴿عليهم السلام﴾ ، ولما تم الأمر على وفق ذلك حادّ العباسيون الذين تذرعووا بذلك عن تلك الوجهة ، وابتدأ حكم اسوأ من أن يذكر فبلغ بنو العباس شأواً في تعسف آل البيت ﴿عليهم السلام﴾ ، ومشايعهم ، لم يرتق إليهم الأمويون ، وما حصل بوقعة فنج للحسين بن الحسن بن علي بن أبي طالب شاهدٌ على ذلك⁽⁸⁾

وعلى هذا النحو بقي الصراع سائداً يشتعل مرّةً ويخبو في أخرى وفي هذه الأثناء كان ان ظهرت بوادر دولة شيعية في المغرب الا وهي الدولة الفاطمية ،

(3) ينظر: تاريخ الطبري : 143/5 ، وينظر : مقاتل الطالبين : 22 ، وما بعدها 0

(4) ينظر: تاريخ الطبري : 158/5 ، وما بعدها ، وينظر: مقاتل الطالبين : 33 ، وما بعدها 0

(5) ينظر: تاريخ الطبري : 400 /5 ، وما بعدها وينظر: مقاتل الطالبين 0

(6) ينظر: م 0 ن : 88 ، وما بعدها 0

(7) ينظر: الدعوة العباسية مبادئ واساليب ، د0 حسين عطوان ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، د0 ط ، د0 ت : 93/1

(8) ينظر : م 0 ن : 279 ، وما بعدها 0

وهي كما معلوم لدينا دولة شيعية قد بينا الأسباب التي دعت إلى نشوئها واتساع سلطانها ، مما بات يقلق الأمويين اللذين اتخذوا الأندلس دار حكم لهم في المغرب العربي وفي الشرق هاج قلق العباسيين ، اذ كانت تلك الدولة الناشئة ذات اتجاه ديني سياسي في آن معاً 0

مما ولد بينها وبين هاتين الدولتين صراعاً ذا طابع سياسي فكري ، انعكس أثره بعد انعكاسه على الحياة على الأدب بوجه عام والشعر منه بوجه خاص ، بعد ان قوي نفوذ تلك الدولة وحققت ما حققت من انجازات سياسية ، ولا سيما حينما سيطر الفاطميون على مصر ، مما أقض مضاجع الدولة العباسية ، ومن جهة أخرى كان الفاطميون يهددون حدود الدولة الأموية في الأندلس ، مما جعلهم يخوضون معهم صراعات كثيرة ، وإذ نحن تناول الشعر السياسي ، فإننا لم نجد سوى ابن هانيء الأندلسي الذي اقترن زمن وجوده ، بجملة من الانتصارات السياسية والفكرية في زمن الخليفة الفاطمي الرابع (المعز لدين الله) ، الذي قد لبي الطموح السياسي في شعره ، وكان العباسيون والأمويون هما المرمى الذي يقرطس فيه الشاعر سهامه ، منافحة عن الحق الشرعي لآل البيت في الخلافة ، مدعياً أنهم الأولى في تولي ذلك الأمر ، لقد حاول ابن هانيء ان يمثل صورة هذا الصراع - السياسي والمذهبي - التي اتسم بها القرن الرابع الهجري ، فالشيعية هم أعداء للعباسيين والأمويين ، لذلك كان لابد لكل طرف من الانتصار لرؤاه ، لأن تلك الأمور لا ينظر إليها إلا من وجهة نظر تفتت على العواطف ، فالعباسيون الذين ناصبوا العداء للفاطميين وطعنوا في صحة أتسابهم لآل بيت النبي ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ ، لذا كان لابد للفاطميين من يقفوا

موقفاً
معيناً
،

وما كان اشد نقمة العباسيين حينما نافسهم الفاطميون على مصر، لذلك راح يقول فيهم ابن هانيء
(9).

تقول بني العباس هل فتحت مصر
وقد أشرفت خيلُ الإله طوالعاً
وذا ابن نبي الله يطلبُ وتره
فكونوا حصيداً خامدين أوارعوا
والأفبعداً للبعيد فبينه
أفي ابن أبي السبطين أم في طليقكم
بني تلة ما اورث الله تلة
وأنى بهذا وهي أعدت برقها
ذروا الناس ردوهم إلى من يسوسهم

فقل لبني العباس قد قضى الأمرُ
على الدين والدنيا كما طلع الفجرُ
وكان حر أن لا يضيع له وترُ
إلى ملك في كفه الموت والنشرُ
ويينكم ما لا يقرب به الدهرُ
تنزلت الآيات والسورُ الغرُ
وما نسلت، هل يستوي العبدُ الحرُّ؟
أباكم فإياكم ودعوى هي الكفرُ
فما لكم في الأمرِ عرفٌ ولا نُكرُ

هذا المقطع من قصيدة قيلت بمناسبة فتح مصر من قبل الفاطميين بقيادة جوهر قائد جيش المعز
ولعل ابن هانيء حينما يقدم على إبداء ما في نفسه يستثمر الجانب الوجداني عند المتلقي وليحدثه
بتلك الكيفية التي تعزز بين السياق النصي وبين الواقع الموضوعي الذي استقرَّ وجدان الشاعر،
ويلجأ أحياناً إلى ما يسمى ((بالحوار الافتراضي)) تعزيراً لأدائية النص من دون اعتماد على أي نوع
من المقدمات التقليدية، رجاء الاستضاءة بالأساليب الأدائية، كما أنه في الوقت ذاته يقدم المسوغ
الذي يجعل كنه ممدوحه راجحة في وضعه في مقارنة يمثل فيها، بين ما عليه ممدوحه وبين الحال الذي
وصل إليه العباسيون، بعد فتح مصر فخيّل الإله يقودها المعز، لأنه يطلب وترًا والأحرى بهذا الوتر
أن يؤخذ اليوم لأن العباسيين اغتصبوا حق آل البيت في الخلافة بعد ما دعوا في ثورتهم على الأمويين

بالخلافة لبني عليّ عليه السلام ، فلما تمّ لهم الأمر حادوا عن الذي قالوا به ، وهنا يتساءل الشاعر ابي حق بتلك المنزلة ، أبناء عليّ عليه السلام أم أبناء تئلة ، الأصل تئيلة وهي امّ العباس جد العباسيين ، وهل أنّ ما نزل من القرآن كان في حقهم أم في حق آل الرسول ؟ لذلك يرى ان الحق قد عاد إلى أصحابه ، لأن تلك الدعوى التي ادعاها العباسيون هي أشبه بالكفر ، فلا عرف لديهم اليوم ولا نكر ، لان المعزّ لدين الله قد أعاد الحق إلى نصابه ثم نلحظ الشاعر في أبيات آخر ، وهو لم يزل يسأل بني العباس في أن يبينوا للناس هل أنهم هم الأحق بهذا الأمر ، أم غيرهم ، وعلى نحو يحاول الشاعر خلاله أن يعبر عن أفكاره بموضوعية ، خاضعة للسياق من حيث بساطة الأداء ، ومن حيث توضيح أدق واشمل ، يكشف من خلاله هذه المقارنة التي تبدو في اغلب احوالها معتمده على منحنى فكري يتصل بالدور الذي اضطلع به بنو العباس في محاربة آل البيت ومن يتشيع لهم ، وليكشف انعكاسات هذا الصراع من خلاله هذا التساؤل المؤثر الذي افتتح به النصّ ، ثم يضعهم إزاء الواقع ليبين لهم أن يأتوا بأشهادهم ، ليعرف من احق بهذا الأمر ⁽¹⁰⁾ :

فجئيثوا بمن ضمت لؤيُّ بن غالب	وجئوا بمن ادّت كنانة والنضرُ
ولا تذروا علياً معدّ وغيرها	ليُعرفَ منكم من له الحق والأمر
الا تكلم الأرضُ العريضةُ أصبحتُ	وما لبني العباس في عرضها فترُ
فقد دالت الدنيا لآلِ محمّدٍ	وقد جرّرت اذيالها الدولة البكرُ

إن الأسباب التي ذُكرت آنفاً تجعل أمثلة هذا النسيج الشعري تجدد مع كل ما يمكن أن يكشف تلك الحقائق ذات الخطورة بالنسبة للبعد السياسي الذي يظلّ فيه الشاعر ملتزماً من دون ان يعد هذا الشعر ذا نزعه عدوانية باتجاه الطرف الآخر بقدر ما يؤدي إلى الاستدلال عن أصالة المسألة التي

يثيرها بحيث يغدو هذا الهجاء مشروعاً في الدفاع عن الحقيقة، لأن السكوت على الظلم مشاركة فيه، وبهذا المعنى يكون التغيير الذي يقتضيه هذا التحول تغييراً شاملاً، وإعادة الحق إلى نصابه لا يستلزم فقط صرخة احتجاج، وإنما يحتاج ضربات موجعة تنشر راية تلك الإمامة العادلة، كما يرى الشاعر 0

ويبدو لنا ان ابن هانيء يعد من أهم الشعراء الذين ناصروا الفاطميين بحيث جسد في نتاجه ملامح ذات ابعاد فكرية قد فرضت فاعليتها على هذا العصر، منطلقاً من مشروع فكري استمد صيرورته من هذا الإيمان الراسخ، والطابع السلوكي للشخصية المتزمنة التي تحاول ان تبرز ما تؤمن به بموقف التزامي 0

تتحكم فنية النص السابق إلى مجموعة من السمات التي تضيء ابعادها على النص 0 فقد تكون اللغة المباشرة، مصاغة بإحكام لترصد الظواهر التي يريد الشاعر طرحها في نصه من دون تأكيد على العنصر الصوري، ففي النموذج السابق نلاحظ أن الشاعر لم يعتمد عنصر التصوير، اذ لجأ إلى اللغة المباشرة، ففي بداية نصه يعتمد الحوار في جعله منطلقاً يستطيع ان يتعامل من خلاله مع الموقف، فضلاً عن ذلك فإنه يوشح أداءه بعناصر لغوية، ذات أثر مهم في صوغ العبارة كالجناس والطباق : (بعداً ، للبعيد) ، و (طوالعاً ، وطلع) و (وتره ووتر) وقد لا يأتي الجناس في كل الأحوال مطابقاً إذ قد يأتي ناقصاً ومن الطبيعي أن يكون وروده وهو الطباق عنصراً تزويقياً، ولكن من دون ادنى شك تكون له ايجابية يتطلبها السياق، والطباق (عرف ونكر) و (الموت والنشر) 000 الخ، كما ان الأثر الإيقاعي الذي يمكن ان يتضمنه هذان العنصران له اثره الواضح الذي نستطيع ان نلتصقه في النص 0

كذلك الصيغ التضمينية القرآنية كان لها دورها في أغناء النص حيث يشكل رافداً مهماً بحيث يعوض الصورة التشبيهية والاستعارية والرمزية، اذ يأتي بصورة متكاملة الأبعاد تفرض وجودها في النص، وكأنها جزء لا يتجزأ عنه كما في : (حصيداً خامدين) و(هل يستوي العبدُ والحرُّ) و(قضي

الأمر) ، فكانت المزاجية بين الحوار والتضمن ، تنطلق لرصد الظواهر السلبية والايجابية التي تتحرك في ضمن اطار المقابلة بين سلوك العباسيين وبين سائر القيم التي ينماز بها ممدوح الشاعر 0 وشكلت أسماء الأعلام : (ابن نبي الله ، وابن أبي السبطين ، وني تلة) طرفي الصراع ليقابلها الشاعر بأسماء أخرى (لؤي بن غالب ، وكنانة ، والنضر ، وعلياً معداً) محتكماً من خلالها إلى تأكيد اخباراته ، فضلاً لما تلك المسميات من رصيد موضوعي للفكرة التي يتبناها الشاعر 0

يقاعياً لا ننسى في كل حال من الأحوال ما للوزن الشعري والقافية من دلالة موسيقية عالية الأداء ، فكان وزن الطويل مهيباً لاستقبال طروحات الشاعر بكثافتها الموضوعية ، كذلك صور الإيقاع الداخلي المتمثل بتنوع العبارة وباستعمال الجناس والطباق ، وكما مثلنا لهما سابقاً ، أفكار الشاعر ليقدم دلالة مشحونة ، اكتنز النص على اثرها بالعنصر الموسيقي 0

وعلى وفق ما ذكرناه تبقى رؤية الشاعر للعباسيين في قوله (11):

ابناء تلة مالكم ولمعشر	هم دوحه الله الذي يختار
ردوا اليهم حقهم وتكبوا	وتحملوا فقد استحم بوار
ودعوا الطريق لفضلهم فهم الألى	لهم بمجهلة الطريق منار
كم تنهضون بعبء عار واصم	والعاري أنف منكم والنار
يليههم زمر المثاني كلما	الهاكم المثنى والمزمار

تلتزم السياق الذي تحرك على وفقه ، اذ يغتم كل مناسبة ليسبب بها العباسيين ، ويعمد على ايدائهم بنسبهم إلى (تلة) أم العباس جدّهم ، فهذه الاستتارة تجعل هؤلاء الذين بدا ملكهم يتضاءل عاجزين عن كل شيء ، فيطلب منهم ان يتجنبوا ويرتحلوا بعد إعطائهم حق اسيادهم لأن الطريق التي يسلكونها هي ليست طريقهم ، لدرجة انهم لم يستطيعوا الا اكتساب العار الذي يأنف منهم ، فهم رجال لهو وطرب ، والذين جحدوا حقهم قد شغلوا بتلاوة آي

القرآن الكريم ، لذلك كان استبداد بني العباس بالسلطة ونزوعهم نحو استبدال القيم الإسلامية التي يجب ان تأخذ أبعادها الحقيقية ، بقيم تقوم على العنصرية والاستئثار بكل الأشياء ، كما أنه - أي الشاعر - يحاول من خلال ذلك نقد الأوضاع المنحرفة على كافة المستويات إلى ما هو عبثي ، وظلامي كما في قوله⁽¹²⁾ :

وللملك في بغداد أن ردّ حكمه
إلى شلوميت في ثياب خليفة
لم يكن العبد اللئيم بخاره
كان قد كشفت الأمر عن شبهاته
وفاض دماً مدّ الفرات ولم يجز
فلا حملت فرسان حرب جياؤها
ولا عذب الماء القراح لشارب
ألا إن يوماً هاشمياً أظلمهم
كيوم يزيد والسبايا طريدة
إلى عضد في غير كف ومعصم
وبضع لحام في إهاب مورم
من هو من أهل العراق بالأم
فلم يضطهد حق ولم يتهضم
لوارده طهرٌ بغير تميم
إذا لم تزرهم من كيت وأودهم
وفي الأرض مرواثة غيرايم
يطير فراش الهام عن كل مجثم
على كل موار الملائع عثم

المهم لدى الشاعر ، ولدينا ان نحضى بهذا الأداء الذي ينسجم مع التطلعات التي تهيم المجال لتنوع الطرح الذي يمثل بلورة لأفكار التزميّة ، وان كانت مشفوعة بأبعاد سياسيّة تطمح لتحقيق نوازعها بأي شكل من الأشكال 0

فالشاعر في نصه السابق يربط بين أخلاق الراعي وأخلاق الرعيّة ، فالأمر سيان ، فانعام النظر في سلوك السلطة المنحرف ، يحدو بالشاعر إلى ان يعلن الحرب الشعواء التي لا تبقى ولا تذر ، ويعلن أن اليوم الذي سوف يأتي عليهم ، كيوم يزيد الذي نكل فيه بالحسين وأهل بيته ﴿عليهم السلام﴾ 0

يبقى انفتاح هذه الرؤية على مثل هذه الأساليب يمدّ الشاعر بالقدرة على إخضاع القصيدة لمعمارية معينة تستمد إحكامها من تنوع الأداء مع ما يصاحبه من صدق فكري ووجداني 0 والذي يتضح لنا من النصين السابقين أن اللغة التي يخط بها الشاعر رواه الفكرية والوجدانية لغة تهجميّة

عنيفة يتطلبها سياق عاطفي تجاه ما يؤمن به ، وتحدد ألفاظ النص الأول بمثل : (عار واصم ، يأنف العار منكم ، والنار) يقابلها ايجابية مستحقة للطرف الآخر (دوحة الله ، يلهيهم زمر المثاني) ، لتحقيق تلك المقابلة مساحة يشحذ فيها سيف كلماته ، كذلك النص الآخر ، الحال تأخذ بعداً آخر ، جانب السلب يتخذ ، مسارين ، (انباء تلة) و (بنو مروان) لتكون نقمة الشاعر مزدوجة ، وبلغة يغلب عليها الانفعال ، راح يتمنى لهم يوماً كيوم يزيد 0 كذلك كان احتفال النص بالصورة ، قد جعل الطبيعة الفجة للعباسيين والأمويين تأخذ بعداً أكثر بشاعة كما نلاحظ ذلك في : (عضد في غير كفّ ومعصم) و (بضع لحام في إهاب مورم) و (فاض دماً مدّ الفرات) و (يطير فراش الهام) و (السبايا طريدة) ، لتضخ انعكاسات الواقع في تلك الصور ، لهذا كانت ثورة ابن هانيء على هؤلاء شديدة
النقمة 0

إيقاعياً الوزن الشعري ، ذو دلالة إيقاعية يستحوذ تأثيرها على مجمل الإيقاع ولا شك ان دور القافية ذو أهمية بالغة ، لأن إبعادها الإيقاعية هي الأخرى تجعل من الأثر الإيقاعي يأخذ تلك الوقفات اللازمة ، ويكون أثر القافية مزدوجاً ، إيقاعاً ومعنى ، إذ جاءت وقد استدعاها سياق النص ، وكان لوزن الكامل في النص الأول وإقافية الرء المضمومة ، ولوزن الطويل وقافية الميم المكسورة في النص الثاني ، أدائية استلزمها كل موقف حسب حاجته ، ومن هنا ، نرى ان انفعالية الشاعر في النص الثاني الزمته ان يعبر عنها بأكثر عدد من الألفاظ ، لذلك أثر البحر الطويل لتوافره على عدد كبير من المقاطع الصوتية ، التي تهيئ مساحةً كافية للكشف ، وكانت القافية هي الأخرى ذات امتداد كافٍ سحبت أثرها على الوزن الشعري ، اذ لم تأت في اضرب تلك الأبيات المقبوضة
0

وعلى الشاكلة نفسها نلاحظ قوله (13) :

أبني لؤي ابن فضل قديمكم
 نازعتم حق الوصي ودونه
 ناضتموه على الخلافة بالتي
 لو تتقون الله لم يطمح لها
 لكنكم كنتم كأهل العجل لم
 ماذا تريد من الكتاب نواصب
 هي بغية اضلتموها فارجعوا
 ردوا عليهم حكمهم فعلهم

بل اين خلم كالجبال رصين ؟
 حرمٌ وحجر مانعٌ وحججون
 ردت فيكم حدُّها المسنونُ
 طرفٌ ولم يشمخ لها عرنين
 يحفظ لموسى فيهم هارونُ
 وله ظهورٌ دونها وبطنونُ
 في آل ياسين ثبوت ياسينُ
 نزل البيان وفيهم التبيينُ

فالشاعر في هذا النصّ ، يلوم القرشيين ، ويعاتبهم على أساس انهم اهل الفضل والحلم الرصين ،
 ويعاتبهم لمنازعتهم حق عليّ عليه السلام في الخلافة لأنهم تركوا تقوى الله ورضخوا لرغباتهم ،
 فأصبحوا كبنى اسرائيل حينما تركهم موسى عليه السلام مع أخيه ووزيره هارون عليه السلام فلم يحفظوا الحق الذي لموسى مع هارون
 فكان ان ناصب القرشيون العداة لعليّ عليه السلام ، وكان الشاعر ينزع منزع التقابل حين يقرن
 السلوك الذي سلكه هؤلاء مع الحقيقة العبادية لعليّ عليه السلام ، بصورة تبدو طبيعية وليس
 افتعالاً للأشياء تبدو خارج نطاق الواقع من حيث الدلالة 0

أما من حيث القيمة الفنيّة لهذه الأبيات فيجدر أن تأتي اللغة ذات أحكام في العبارة ، لتحقيق
 الخصائص الفنيّة والدلالية التي يطمح الشاعر إلى تحقيقها 0

ففي هذا المقطع نجد دلالات عديدة ، نجد مقارنةً تعمدّها الشاعر ، وهي من دون شك ممارسة
 ذكيّة قد تجلّت في تلك التقنيات اللغويّة التي صيغت على وفقها العبارة فابتدأ ب(اين) وكررها مرتين ،
 فجاءت العبارة الشعرية بدلالة التعنيف ، وقامت اداة العطف (بل) بإعطاء العبارة الأخرى ، دلالة
 متوازيّة ، ربما قد فاقت الدلالة التي تضمنتها العبارة الأولى (اين فضل قديمكم ؟) ، وكان الاستفهام
 (هنا) اتخذ طابعاً انكارياً ، فكأنه يريد القول (إذا كنتم تدعون الفضل ، فلماذا فعلتم كذا وكذا) ،

وهكذا كانت عملية الرصد الفني على صعيد هذه المقابلة منحتة الفرصة حتى يسرد تفاصيل كثيرة، تدخل في ضمن مجال الكشف التعبيري الذي يبرز استثمار الشاعر لحوادث تاريخية تعتمد التضمين القرآني (أهل العجل)، (موسى عليه السلام)، (هارون)، (آل ياسين)، ولعل البيت الأخير من المقطع هو الذي يمثل المحور الآخر. الأمر الذي يريد الشاعر استرجاعه إلى أهله فجاء على نحو من التداعي الذهني، الذي يقوم على إرجاع الأمور إلى تقدير (قادر)، اذ هي أمور خارجة عن نطاق الذات الإنسانية، وكأنه يقصد بهذا الوصف الذي انتهت جوانبه بالبيت الأخير، أحقية أهل البيت به. ويعني الإمامة. التي أوصى بها الرسول ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ لعلي عليه السلام، ليتضح الجانب الفكري الذي يريد الشاعر تأكيده من خلال الأفكار التي يطرحها مضافاً إلى ذلك ما يمكن ان يوشي به الشاعر نصّه من أدوات فنية أخرى مثل استعماله (عنصر الحوار الافتراضي) الذي يجسد قيمة فنية تمدّ النصّ بسياق تعبيرية ذي طبيعة قصصية، فاستعمال (ابن) و (لو) جعلت النص يدمج بين واقعيين أحدهما سلبي والآخر ايجابي لكي لا ينحصر في كونه تعبيراً عن فكر تهجمي، بل ينحصر في رقد الفكرة المتبناة بما يقف وراءها من هذا التناقض الذي فرضته طبيعة المواقف التي يحاول الشاعر تحديدها ليخلص إلى موقف التزامي جاداً 0

أما العنصر الإيقاعي فلا غرو أن ما كان للاستفهام من دور، والجمل الاعتراضية. لو تتقون الله. والطباق (ظهور، ويطون) والجناس (ياسين، ياسين) و(البيان والتبيين) في رقد الإيقاع الداخلي انسيابية تبدو واضحة 0

كما ان الإيقاع الخارجي المتمثل بالبحر الكامل، وقافية النون قد أدركا السرّ الفني الذي حاول الشاعر بثّه، بمعنى آخر إنه حاول من خلال الإحساس الذي يمتلكه بعدالة قضية سياده ان يطرح انعكاسات الواقع من خلال تلك الممارسة فيصعد أداء بنحو ملحوظ بحيث يطبع العمل الشعري بشخصيته 0

والأمويون في نظر الشاعر هم اعداء حقيقيون، ولا بد ان يأخذوا جزاءهم العادل: (14)

أدت عدوك زندق المقدوحا	زحرت غواشي الموت ناراً تلتظي
منهن او كحلت إليه كلوحا	فكأنما فغرت إليه جهنم
اودى به الطوفان يذكر نوحا	وأمية تخفي السؤال وما لمن
والتاج مؤتلفاً عليك لموحا	بهتوا فهم يتوهمونك بارزا
فكأنما صبحتم تصبيحاً	تجاوب الدنيا عليهم مائماً
كاللآبسات على الحداد مسوحا	لبسوا معائبهم ورزء فقيدهم

من الواضح ان مهمة الشاعر الذي ينحو منحى سياسياً في شعره ، يحاول جاهداً استنفار جميع الخصائص التي تعينه على توضيح الأفكار التي يودّ طرحها بنحو جليّ ومحدد ، لذلك وجب العناية بالعنصر اللغوي الذي يخلق الصورة المؤثرة ، مما يوجب ان يعطي لشعره قيمة عليا ، فابن هانيء في نصّه هذا يحاول طرح اشكال متنوعة في التعبير ، فبين ابراز الجانب التصويري في العقاب الذي سوف يحلّ بهؤلاء ، وبين ما ينتج عن ذلك من بعد تحدده طبيعة العلاقة مع الآخرين ، أو طبيعة ما يمكن ان ينتج من واقع موضوعي يحدده الموقف السياسي الذي يبني الشاعر نصّه على أساسه ، تكون النتيجة أن الدنيا تستبشر بالقضاء عليهم ، ليظل الشاعر يطرح القضية التي يتبناها بشكل وجداني ، يحمل في طياته تحقيق توازن نفسي ، يضاف إلى البعد الفني الذي يحقق التوازن الداخلي للنص⁰ وله فيهم ايضاً⁽¹⁵⁾ :

كما يخيب برأس الأقرع المشطُ	خابت أمية منه بالذي طلبت
كواكب عن مرامي شأوها شحطوا	وحاولوا من حضيض الأرض اذ غضبوا
بجيث يفترق الرضوان والسخطُ	هذا وقد فرق الفرقان بينكما

هذه الأبيات من قصيدة يمدح بها الشاعر المعز لدين الله ، ويذكر خيبة بني أمية الذين حاولوا إقصاء الفاطميين بكل ما بأيديهم من وسائل ، فضلاً عما بيناه في الفصل الأول من تلك الدراسة ،

لذلك يرى ابن هانيء أن كل ما يُحاوَله بنو أمية لا شك أن سيؤدي بهم نحو الخيبة ؛ لأن المعز يعد نموذجاً تتجسد فيه بوضوح الإرادة الإلهية ، أو ليس هو من قوم فرق بينهم وبين بني أمية الفرقان 0 فهم لم يجدوا ما يلي رغباتهم ، فشبههم بالمشط الذي خاب برأس الأقرع 0 ولعل هذا الوصف يعكس خيبة أمل فظيعة ، لأنهم يحاولون ما يرتفع بقدرهم وهم في الحضيض 0 النص بوجه عام يكشف عن لغة مألوفة يوشحها العنصر السوري ، القائم على التشبيه ، ولعل النموذج الأول :

خابت أمية منه بالذي طلبت كما يخيب برأس الأقرع المشطُ

تعدُّ طريقة على الرغم من ترددّها على الألسن ، لكنّها قد كشفت عن واقع موضوعي أراد الشاعر رصده من خلال تلك الصياغة البسيطة ، لكنّها كانت ذات غناء وعمق كبير 0 ايقاعياً ، حفل البيتان الأخيران بتكرار بعض الأصوات كالضاد والشين ، والقاف ، مما كان لها اشراق نغمي يتحسسه المتذوق ، كما ان التجانس بين (فرق والفرقان) والتطابق (الرضوان والسخط) كافٍ في التذليل على نمط آخر من ايقاعية العبارة مما يكسب النصّ على العموم جمالية ملحوظة 0

ويسأل ممدوحه في نص آخر القصاص من بني أمية قائلاً :⁽¹⁶⁾

وأذن له ان يغرق أمية معلناً	ماكل ماأذن له ماأذن
واعذر أمية أن تغصّ بريقها	فالمهل ما سقيته والغسلين
ألت بأيدي الذلّ ملقى عمرها	بالثوب اذ فغرت له صفين
قاد امرهم وقلدّ ثغرهم	منهم مهين لا يكاديين

قد يفرض الواقع رؤيةً تستنطق في خلالها تجربة الشاعر الامتداد الزمني الذي بنى على أساسه موقف الاموميين المعادي لأهل البيت «عليه السلام» اذ يوظف هذا السياق التاريخي التراكمي لا على أساس مجرد من الفائدة، اذ يشكل هنا ظاهرة تتطلبها الصراع او بالأحرى موقفاً ضدّ سلاطين الجور، وهو في الوقت نفسه علامة فارقة يمكن ان تعكس من خلالها الصورة المثالية للممدوح، والاحتجاج والرفض لما يمثله النظام الديني الذي تقلده الامويون ومن بعدهم العباسيون، فكان موقف المعزّازاء هؤلاء يمثل ضربة اجهضت تطلعاتهم المريضة ومن الطبيعي ان يلتزم الشاعر، موقفاً ثابتاً يكشف فيه اهدافاً سياسيةً وفكريةً 0 لذلك ما إن يجد الشاعر اية مناسبة تسمح له بإبراز الحق، ووضح مقارنة تكشف الحقائق او تبينها، يتجه إلى تبيان ذلك، فالشاعر هنا يريد الانتقام من بني أمية بأن يغرقهم جيش المعزّفي البحر، وهم معذورون ان يغصوا بريقتهم فما أذقهم المعزّدين الله قد جعلهم على تلك الحال، إضافة إلى الذل الذي لاقوه بأيديهم 0

يتحدد إلى المستوى الفني لهذه الأبيات على وفق اعتبارات عديدة نجح الشاعر على أساسها في صياغة تجربته؛ اذ ان انفعالية الشاعر اسهمت بشكل فاعل في تحديد إيقاعها اللغوي، فالتجربة

الشعرية بملاساتها كافة هي الأقدر على منح اللغة الاعتيادية فضائية إيحائية تتساق مع ما يمكن أن يولده الاستعمال الفني للألفاظ من خلال شحنها بطاقات تبعث على المتعة والاعجاب ، وتفجير صورها الدقيقة التفاصيل ، فالأبيات عبارة عن طلب (دعاء) من الشاعر إلى ممدوحه في أن يأذن للبحر أن يفعل فعلته ببني أمية ، فولد الشاعر أكثر من صورة تكشف وبعده تاريخي حساسة ببني أمية ، ومواقفهم الشائنة ضد العلويين ؛ فكان ان توكأ على الصورة التضمنية التي اقتبسها من القرآن الكريم ، والتي تدل عليها الألفاظ : المهل والغسلين ، ومهين ، ولا يكاد بين 0 إضافة إلى التضمن التاريخي المتمثل بـ (صفين) ، مما يمنح المقطع الشعري الذي نحن بصده قيمة فكرية ، وهكذا فقد كانت الصورة التي تبناها الشاعر صورة توليدية ، لأنها تفرعت عن صورة واحدة مبتدئة بـ (واذن له ان يفرق امية معلناً 000) ويستغرق ابن هانيء في لوم كل من له يد في منازعة آل النبي حقهم في الخلافة ، إلى ان يصل إلى أصحاب بيعة السقيفة ، الذين لعبوا دوراً مهماً في التمهيد إلى فتنة ما زال الإسلام ينوء بها ،

اذ يقول (17) :

وأولى بلومٍ من أمية كلها
أناسٌ هم الداء الدفين الذي سرى
هم قد حوا تلك الزناد التي ورت
وهم رشحوا تيماً لأرث نبينهم
على أي حكم الله اذ يافكونه
وفي اي دين الوحي والمصطفى له
فما تقموا أن الصنيعة لم تكن
وتالله ما الله بادر فورها
ولكن أمرا كان أبرم بينهم
بأسياف ذاك البغي أول سلها
وبالحقد حقد لجاهلية إنه
وبالثار في بدر أريقت دماؤهم

وإن جل أمر من ملام ولوم
إلى رمم بالطف منكم واعظم
ولو لم تشب النار لم تضرم
وما كان تيمي لهم إليه بمنتم
أحل لهم تقديم غير المقدم
سقا آلهم مزوج صاب بعلقم
ولكنها منهم شناسن أخزم
ذو أفكهم من مهواء أو منقم
وإن قال قوم فلتة غير مبرم
اصيب علي لا بسيف ابن ملجم
إلى الآن لم يظعن ولم يتصرم
وقيد اليكم كل أجرد صلدم

اذ يرى أن الذي أولى باللوم من آل أمية ، الذين اجتمعوا يوم السقيفة ، وأبرموا فيما بينهم إدارة
شؤون المسلمين متجاهلين وصية رسول الله ﷺ عليه وآله وسلم ﴿ مقدمين أبا بكر خليفة
لرسول الله ، وهو ليس كذلك ﴾

أما قوله : (وإن قال قوم فلتة) فهو تضمين لمقولة الخليفة الثاني ، من خطبه له قالها في المسجد النبوي*
لذلك كانت هذه الفتنة هي الشرارة التي استشرت ، فقتلت عليا ﴿ عليه السلام ﴾ لأنها هيات
المساحة الكافية التي استطاع ان يتحرك فيها أعداء الإسلام ، واستطاعت أيضا ان تغذيهم بالحقد ،
حقد الجاهلية الذي امتد إلى الطف ليقتل الحسين وأهل بيته ﴿ عليهم السلام ﴾ ، لأنهم انما اوغلت

صدورهم بالحق منذ أيام الإسلام الأولى ، وما كان ذلك العمل منهم الاثراً لقتالهم في بدر ، لذلك نرى ان يزيد حينما جيئ إليه برأس الحسين «عليه السلام» فجعل يضرب ثناياه بمخضرة كانت في يده متمثلاً وهو يقول : (18)

ليت اشياعي ببدر شهدوا
لأهلوا استهلوا فرحاً
لست من خندف إن لم انتقم
وكذلك الشيخ اوصاني به
قد قتلنا القوم من ساداتهم
جنح الخبزج من وقع الأسل
ولقوا لويبا يزيد لا تشل
من بني احمد ما كان فعل
فاتبع الشيوخ فيما قد سأل
وعد لنا ميل بدر فاعتدل

تكشف هذه الأبيات عن مستوى فني يتجه الشاعر من خلاله إلى تشكيل صيغة أدائية تقوم على التابع المنطقي لمتعلقات الموقف المعبر عنه ، لتجد انسيابية واضحة تقترن بالأداء اللغوي الذي يتسم بالوضوح والألفة ، حيث أكتفى الشاعر بإدارة نصّه من خلال الإخبار فقط إضافة إلى التساؤل ، وقد طغى على النص ضمير المخاطب الغائب (هم) ، الذي يكشف عن إشارة تاريخية للموقف الذي اقتضى ان تكون علمية الربط بينه وبين الحاضر الذي كان نتيجة لذلك ، تسيّر على وفق تبصر دقيق بناحية فكرية يفرضها السياق اللغوي للنصّ وقد كشفت الألفاظ الواردة في النصّ بتلواناتها عن منحى فكري وجماليّ سحب أدائته على المستوى الإيقاعي فالجناس بأشكاله كافة ، مثل (ملام لوم) و (تشب وتضرم) و (تيم وتيمي) و (تقديم والمقدم) و (اسياف وسيف) و (بالحق والحق) لم يمتزج بافكار انحرافية تبعد عن أدائية النصّ وانما قدمت كمسوغ للتركيز على الجانب العاطفي والفكري الذي تكفل النصّ بأدائه 0

قد يكون الجانب الصوري متوازناً في هذا النصّ ، وفقد شكلت الاستعارة ((هم قد حوا تلك الزناد)) والتشبيه ((الداء الدفين الذي سرى الى رحم بالطف)) ، هذا التنوع الصوري لما له من مسوغات فنية ، لان الاستعارة ، والتشبيه البليغ ، كلاهما يؤكد التصاق تلك

(18) بحار الأنوار الجامعة لدرر اخبار الأئمة الأطهار ، العلامة محمد باقر المجلسي ، دار إحياء التراث العربي ،

بيروت ، ط3 ، 1983 : 157/45 0

(*) بلغني ان قائلاً منكم يقول : والله لومات عمر بايعت فلاناً فلا يغترون امرؤ ان يقول انما كانت بيعة ابي بكر فلتة وتمت ، الا وانها كذلك ، ولكن الله وقى شرها 0000 ، نقلاً عن : المراجعات ، السيد عبد الحسين شرف الدين ، دار التعارف للمطبوعات ، الكويت ، ط3 ، 2003 : 242 - 243 0

الصفة بالفاعل لدرجة التماثل بين الطرفين ، وهذا ما ينطبق بالفعل على الأطراف التي كانت الممهد
الأول لتلك المأساة 0

إيقاعياً ، حفل النص بالأدائية الفخمة للبحر الطويل ، الذي جاءت فيه العروض مقبوضة والضرب
كذلك ، وقد تفاوت مجيء (فعولن) صحيحة في تفعيلات الحشو ، فبدأ الوزن الشعري منسباً ،
وجاءت القافية معطية التكمال الإيقاعي الخارجي لهذا البحر إذ جاءت الميم المكسورة ، متواشجة
بالقدر الذي ظهر تأثيرها على الإيقاع الداخلي للنص ، فقد ظهر أنها لم تأت عنوة وإنما كان للفظ
(أمية) في النص استدعاءً لها ، ولو لاحظنا النص السابق لوجدنا أنها وردت ((43)) مرة عدا
مرات ورودها في القافية ، مما جعلها تحل تأثيراً واسعاً في مستوى الإيقاع الداخلي ، ثم كان لما قد
ذكرناه آنفاً من جناس وطباق من أثر في تحقيق الغاية الفكرية للنص والانتصار للعقيدة التي يؤمن بها
الشاعر ، إضافة إلى دلالاتها الإيقاعية الملحوظة 0

لذلك يحقق الشاعر بسائر الأدوات الفنية والموضوعية للموقف الذي تبناه مساحةً كافية تمثل في
جملة من ضروب الصياغات : المباشرة وغير المباشرة ، حيث يتجاوز في بعض الأحيان عن رصد
العناصر التخيلية إلى ما هو مرتبط أساساً بمقومات بناء الشخصية من حيث : كشف سجل
المخذلاتها ، وعدم قدرتها على التصدي للحقيقة لذا فإن النماذج المتقدمة والنموذج الذي بين أيدينا ،
تخضع جميعها ، لقاعدة ذات منحى سياسي فكري في آنٍ معاً ، فالأمويون على وفق ما يرى الشاعر
: (19) :

وما عرفت كراً الجياد أميةً
ولا جرّدوا نصلاً تخاف شباته
ولم تدم في حرب دروع أمية
إذا حضر المداح أخجل مادح
وما حملت بزّ القنا وهو شابك
ولكن فولاذاً غداً وهو أنك
ولكنهم فيها الإمام العوارك
واظلم ديجور من الكفر حالك

إن عناية الشاعر بكلِّ ما يمكن ان يغضَّ عن مكانة اعدائه ، تجعله يسرد جميع الحقائق التي سوف تشكل بمجموعها تلك الطبيعة الرثة التي يمتاز بها الطرف الآخر ، وبلغه خطابية ، يستنفر الشاعر معها دافعه الوجداني يرى أن بني أمية :

ما عرفت كرا الجياد 0

ولا جردوا نصلا 0

ولم تدم في حرب دروعهم 0

اخجل مادحهم 0

نلاحظ هذا الأداء المصحوب بقرار في نهاية كل بيت ، وكأنَّ ما يطلقه من صفات هو حقائق ثابتة ، وبهذا التجانس الدلالي الذي قام على عناصر لفظية تمثلت على وجه الخصوص بالنفي بد ((مما ، ولا ، ولم)) حقق الشاعر صيغه الفنية من خلال رصد المقومات العامة والخاصة وتوشيحها بلغة الفن :
ايقاعياً وصورياً ، مستهدفاً من ذلك ادانة السلطة المنحرفة وابداء حقائقها 0